محمود حمد

إنْ أنتَ صاحبتَ الغيابَ



شعر



محمود حمد

إنْ أنتَ صاحبتَ الغياب

شعر



محمود حمد

إنْ أنتَ صاحبتَ الغياب

شعر



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffiusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت ـ لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-368-4

الطبعة الأولى 2013

المحتويات

آمنت بالأحلام حين تبعثري

يلفك عبء الوقت

مكانك

حيث الريح

تَسمعك الحجارة

في الفراغ

وحيث الماء

أغنية..

يردّدها المهاجر

والقصيدة في السفوحْ

يلفّك عبء الوقت

تحت الظل

تسأل عنك

أرصفةُ المدينة

حين يسكنك الضياعْ

مسيرك

وهج الشمس

خطاك بها كالليل

يأخذُ وجهه

وبه حنينه

هناك حصادُ الوقت

ديدنك

البكاء على الطللْ

يمرّ عليك الفجر

يسلبك انتهاء

ويأخذُ منك البعد

ذكراه

الحزينة

منذ الطفولة

أنا طفل

يحبّ جنونه الصَّيفيّ

مُبتَسمًا

يلاحقُ في الشتاء البرد

بين البيت والوادي

وبين ضجيجه الشتويّ

والأبويّ

قصة هجعة الخوف

أنا طفل

ينامُ على تراب الأرض..

والأحلام تحمله

إلى وطنه

صَهيلُ حصانه

جرحٌ

ينام وكفُّه غُصَنٌ

يعيشُ بشجرة الصِغَر

يداعبُ حلمه وجهًا

يضاحكه إذا يبكي

على القدر

يرى ما كان..

ـ أن لو عاد.. ـ

شيئًا من تبعثره

يعودُ إليه

يرجعه..

ليأخذ منه خطوته

التي انتظرتْ

رحيلًا في تكوّنه

بلا سَفَر

متى أكبر؟!

وأنسى أنني أكبر!

سلامات سلامات

إلى الأيام إذ تقسو..

إلى الأحلام إذ ترحم..

إلى الحبّ الذي أبكى فؤادي

لحظة الذكرى

مع الأشياء والأوراق

والأشعار والماضي

سلامات إلى دمعي..

إلى ضحكي على الزمن

على صِغَري..

على لحظات لم تكبر

الظلال البعيدة

قد أتجاوزُ الأشياء

لكن..

لحظة الذكرى

تحاصرني

وأبكي..

حين بعضُ الدَّمع

يرجعني إلى

صغري

أنا ما زلت

منتظرًا

أصيحُ بعابرين هنا

وقد مروا

على ظلّي

وأبكي

حين صوت الماء

يقرأُ صفحةَ السير

حكايات ممدّدةً

على الجدران

باسم الحب

نخلًا

يشتكي للريح

مأساة الصغار به

طفولاتٌ

من الغرباء

تغرز وجهها فيه

تقدّس ما جنته برعبها..

وتموت في أحضان أشياء

من الورق

هنا أتجاوز الظل

البعيد

لأنني

سأظل أمشي

بعدها

لا حلمي يموت

ولا سكون ضفادع

الوادي

يردّ إلى المياه

الحلم

أو يحنو على الغير

إنْ أنت صاحبت الغياب

جَدْبٌ صَارخٌ

هذا التساؤل

بحرُك العلويّ..

أغرقه التصحّر

فوق ذاكرةِ الشتات

ستظلّ أنت

الشاطئ الباقي..

بلا حلم الملوحة

من جديد

إنْ أنت صاحبت

الغياب

وكنت النّورسَ الآتي

من الجزر الغريبة

ستذوبُ في الصرخات

باسم الموج

ينكرُ خوفك المطويّ

في الظلمة

إنْ جمّعتْك الرّيح

بعثرك التّساؤل

بالجواب

الليل أغرقه خيالك

حيث الحلم

ميلاد الضعيف

والفجر

يسرقُ يومك الشّتويّ

والذّكرى

والأوهام

والحلم الشّفيف

قلب الماء ينبض في عروقي

ربّاه..

وجهُ الأرض يأكل

خطوتي

ربّاه..

سِفْر الليل..

ينهي قصّتي قبل الصباح

ماذا سأصنع؟!

حين ترفضني المسافاتُ

البعيدة

أم كيف أهربُ نحوها

وحدي طليقًا

مثقلًا برؤى القصيدة

ربّاه

قلب الماء ينبضُ في عروقي

لكنّه

يجري بعيدًا..

شاربًا شمسي الوحيدة

يجري ويحتضنُ التّراب

وما تساقط من بقايا

نخلة محروقة

ساقية التراب..

تموت تحت الأرجل المتردّدة

ويدي تُبعْثرُ ما تبقّى

من رحيل النّخلة السّوداء..

قبل سقوطها

بين المسافة والرّياح

آهٍ

سيبكي الدّرب

محتضنًا بحب

سعفةً ثكلى

تموتُ من المسير

إلى المسير

وأنا رسمت

على مسافات الطريق

حكايتي

وقصيدة تجتثّ من جسدي

عُذُوق النّخلة الخضراء

في جسد السواد

عادت إلى الذّكرى البعيدة..

وهي تلبس لونها

ضَحِكًا حزينًا

كالبعيدْ

مأساة المسافة حينها

تجتاحُ ما عبر الزّمان

من الرحيل

في رمل ذاكرتي

بقايا من رماد

كان يومًا من وداعْ

أين التّساؤل

واقتناء الأسئلة؟

أين الخُطى؟

حملت إجاباتي

إلى ظلّ السّفرجل

حيث يسكن

في ارتفاع الأرض

ليمون تلك البقعة

الخضراء

يعرف قصّة الأطفال

مذ كانوا

يجوبون المزارع

باحثين عن شذاه

ما عادت الأيّام تعشق

ما تبقّى للمساحة

من حياة..

أنفاسي يخالطها التّذكر

والرحيل

وأعود..

حتمًا..

قد تعود

حكاية الشّيخ المُلفّع

بارتدادات الطّريق

جلسوا يصفّون النّجوم

بقربه

زوجاته يحْكينَ زعتره

الذي

يصْنعْنه للجالسين

على اعتداد من زمن

الجالسين الليل..

في أيديهم

أرض تحبُّ عذابهم

عند المغيب

يتسامرون على

حكاياتِ المصايف

والعنب

وعلى السّواقي

تضحكُ الأنسام

في شوق رطيب

بالماء قد رحلوا

وكفّ النهر ودّع خطوهم

فبكت سواقيهم

وغاب حديثهم

أأرى بقلبي

ظلّ ساقية يغيب؟

كنت هناك منذ طفولتي

قبل ولادة العصفُور

في عشّ الرياح

كنت وُلدت..

لا أرض تراودُ

حلمها الأبديّ

أو جبل

يُسمّي نفسه حجرًا

ولا أنثى

تُسمّي نفسها أنثى..

قبل ولادة العطش

اختيارًا

كان الماء

سيّد كل أنواع

السواقي

حين تموتُ ساقية

يغنّي في الظهيرة

يشربُ كلّ أتربة

القبور

ولا يبالي بالهياكل

حين يمرّ..

كان يدوسُ أزمنة

قديمةً

وأحذية الجنود الهاربين

من العهود

بلا بنادق

كنت هناك
منذ طفولتي
وأنا
أجمّعُ ما تبقّى
من حديث
غُبارهم
كنت هناك
أبكي
خائفًا من عابرٍ
يمتصّ أحلامي
أموت
وكلّ أجزائي معلّقة
على أشلاء أغصان
بعيدة
هكذا من قبل أن
تأتي العصافيرُ الوحيدة

أحمل ذاكرتي في فراغي

وحيدًا كنخلة جَدّي
أشقّ المسافات..
قبل المياه
أعود إلى حيث
كنت الصغير
لأقرأ للصيف
دمعي القديم

سواقي المياه..
رحيلي
وفي الطِّين
أحصنتي
يمتطيها الجفاف

وأنثى أراها..

تبوء بإثمي

تخبّئ أنفاسها

في انقسامي

تمارسُ كلَّ ذنوبي

ارتعاشًا عميقًا

فتاتٌ من الذل

يحصدُ ظل

الرَّحيل القديم

أوزِّعُ نفْسي

بوادٍ بقائي

لأنسى الذي كان

أو قد يكون

وبي عطشٌ

للمسير البعيد

ونسيانُ أرصفة

كونتها المعاناة

بين الرّميم

أهشّم رسّم الطفولة

حينًا

وحينًا

تكون الغوايةُ فننا

أمارس حلّم شفاه

النهاية

وحينًا

أقدّسُ جرحًا قديمًا

لأنجو وأرّضى

ألوذ بظلٍّ انعطاف

الظّهيرة

وأقفز نَسّيَا

وأحمل ذاكرتي

في فراغي

صغيرًا أعودُ

وأنسى (لماذا)!

يجفّفُ صيفُ الوعود

دموعي

ويلفحني ضخبٌ

الأمنيات

كونت المسافة بالهرب

خانك الأمواتُ

لم تحفر يداك القبر

منسيا

ولم ترجع إليه..

عادت الأنفاس

ميراثا

ولكن..

أوقَفَتك الريح..

كيف رجعت؟!

لم تعرف دموعك

في ارتداد الحزن

كونت المسافة

بالهروب

الآن..

للجهة الوحيدة

حين كبرتَ

هل تحملُ الميلاد

أم لا تستطيع؟

أوغلتَ في الألم

البعيد

وبقيتَ وحدكَ

جثةً أخرى

وأوقفتَ المسير

أرجعتَ للأبدية الأولى

بدايتها الأخيرة

قليلٌ للرحيل

مسافاتٌ أرصفة

في احتضار

النهاية

شيءٌ من العشب

يكفي المسافر

كي يتوسّدَ

ظلَّ المياه

جَبَليَّة

خَريف

قريبًا
أحاولُ تحريرها
من الريح..
قبل نزول الضباب
فليس لقمّتها
غير أجنحتي
وعُمرًا تحاول رفعي
بأعلى السحاب
قريبًا ستعرفُ
أني بغير الهبوب
سأحلمُ تحت الشجيرات
بالمنحدر

سأنتظرُ النهر
حتى يعود
ليجري عليها
بغير المطر
سيلسعني الخوفُ
لكن..
سأجري
ولن أتوقّف قبل
الوصول إليها..
وترك الهضاب

لقد كنت أحلم..
أنّ الخريطة
تبني المسافات
حين تسيرُ الأصابع
فيها
ويسقطُ ماء الضباب

عليها
قريبًا أنا
قرب بعدي عنها
سأحسبُ كل المسافة
حتى أرى الشمس فيها
وأمسك أوراق أشجارها
قبل اقتراب السقوط
وهمس الخريف
أبثُّ بكائي لأنهارها
والجداول
وأحكي لها قصتي
في الشمال البعيد:
بأني أحبّ المسافات
فوق التلال
وشمّ الجبال

وإني أتيت..
لأن الجداول
تنسى المرور
على باب بيتي
سأجمعُ دمعي
وأمشي وحيدًا
بعيدًا بعيدًا
لعل الدموعَ تكون
خريفًا
بريئًا يحبّ الربيع
ويبقي على الصبر
قبل الرحيل
وقبل اصفرار
الدروب التي
ما تزال بعيدة

هل تعترف بجريرة الأنثى؟

بعد جرح واحد

قد كنت تختزل

المسافة

جئتَ تشربك

العواصف

والنهايات التي

أبقت لك الطرقات

لكن لا تنم

حتمًا ستوقظك القيامةُ

بعد موعدك الوحيد

وترابك المجدوب

يسكن عين ذئب

هل تعترفُ بجريرة

الأنثى

إذا أنصفت نفسك

بالتشرّد مرّتين؟

كم مرة قالت:

خلاصك

في انطفائك بالألم

فلتحتضر جسدًا

أمامي

تنس آخر

ما وعدت به

الغياب

والذكريات هي المكان

في الفجر

كان رحيل أيّام

من الماضي..

الخوف،

بعض الحزن

والأحلام

والجسد المريض

كان السّحاب

وكان صوتُ الماء

يسري

وكذا اشتقاقاتُ المسير

من المسير

والذكريات

هي المكان

هي الطفولة

هي التّشابك

في وجود الذات

بين الخوف

والنسيان..

هي الوطن

وطني هي الأخرى

سأسكنها..

ليسكنني الوطن

ألمي قبائلها التي

تستوطنُ التاريخ

والمدن العريقة

والهوى

وخيال ما عشقت

بأي نهاية كانت

تظلّ

هي الوطن

وقصيدة السُّمَّار

حلو دموعها

إن غادروا للطّين

أو نَسيَ الوطن

حيرة

عند مفترقِ الطريق
كانوا يُعدّون
الولائمَ للقبور
وكنت أسمعُ ساكنيها
يضحكون لزخّة المطر
الشّتائيّ السَّحيق
حاولت
أن أقْفو الحقيقة
قبل أن تدنو القبيلة
كي تقيمَ شعائرَ الأحياء
للأموات
بالأرق العميق

جَبَلِيَّة

عبثيّة أحلام هذا الليل..

عبثيّة أنثاه

تأخذُ رغبةَ الأموات

تسكبُ طِينها

فوق القبورْ

جمعتْ صُراخَ وحوشِها

أيّامَ كان المارقون

يعاقِرون الليل

في أوْكارهم

هم..

واحتضارُ رجولةٍ

مثل الحديدْ

يقتاتُ منها البرد

في الأَلم المُصعّد بالزفيرْ

سقطتْ ملائكةُ السّحرْ

ذهب المساء

حِكايةً

وتمدّد الزمن الكئيبْ

والعالم المذبوح

تأكُله البدايةُ

وانبعاثات الجديدْ

وقبور بعض الأولياء

تموت

حين يغْتَصِبُ المهاجر

نفْسه..

يبكي فتصّرُخ شجرةُ السَّمُر

القديمة للخواءْ

لا فرْق تعرفه الظهيرة

وحدها..

ضحَّتْ بأنفاس القبائل

بعدما سار الشّتاء

لم تعطِ للسّدر انحدار الريح

قبل الظلّ

ميلادها وجع

الذين تزاحمتْ خطواتهم

يتشبّثون بآخرِ الجثث

التي عامتْ على

أرَق الترابّ

لا فرْق

فهي مدينة للطائر الزمنيّ

يأوي

يستصْرخُ الأموات..

يسجُد في قيامته لآخر مرّة

قبل الرحيلْ

وهي اختيار المنتهى الأبديّ

حيث..

هياكل الماضين أوسِمةُ

الحرائقْ

الحالمِين بمِيتة أخْرى

تدفئُ أرضهمْ

يستنْشقون مواكبَ الآتين

يرتطمون بالدمع انكسارًا

يتنافسون توجّسًا في الماء

يرقصُ حوله جَدْبٌ

ويسألُه احترامَ الموت :

«هل يكفي وجودك بيننا

عبثًا حقيقيّا؟»

تتشابهُ الأحلام

في نسّج الأماكن

وحدَها..

تتساقطُ الطُرقات

تملأها خُطى الغرباء

ينثرها الظّلام

ويشتهي فيها التقاطَ

الخائفين

من السكون

المُتّرعينَ بما تبقّى

من حنينٍ

لارتِطَام الرّيح بالأَحياءِ

بالشَجر القديم

وبالملائكة الصغار

بالشياطين الوحيدة

بانطفاء الشّمس

في ظلّ الرُعَاة

العائدين من الجبالْ

وبانتهاء الماء عند الماء

عند الصخْرة الصّمّاء

والأَرَقِ القَديمْ

تتشابه الأحلام

يسكُنها التقاء آخرٌ

بشقاوة الموت الطفُوليّ

الشُجاعْ

يرنو له هربًا

وحيدٌ في الظهيرة

يحمِلُ القلق المُصَاحِبَ

للوصول إلى

ابن حُجَرٍ

يعْشق اللغة اليتيمة

يسرُج الطِّين

ارتعاشًا

ثمّ يلحَق بالفراغ

يشربُ الرّفض المُبعْثَر

في بقايا

ما تُسمِّيه الأساطير

انتشاءً

بعدَ عودته..

يُطَارد ظلَّه المنفيَّ

يتْبعه حَزينًا

لا يفكِّر في قديم المُلْك

أو جَدِّ القبيلة

كيف يطلُبه

ويرسلُ خلفَه كلَّ

العواصف

قبل أنْ يأتي المساءْ

هكذا حلّ المساء

وسافر الغرباء

قبل الليل

كان الآخرون

يجمّعون عظام

من كانوا ضيوفًا

في المساء

يحفرون الوقتَ

ينتظرون..

يستمعون للساعات

للحظات

للّغة الحكيمة

للصغار

وللذين يُهاجرون

كطين أودية

تُشاركُ صيفها جرّم

اقتسام الشمس

قبل جفافها

في الصخْر

باسم الماء

النَّبيّ الإنسان

أودعت في الأرض

الحقيقة

واتجهت بحبها

رملًا وماء

وعَدُّ الزمان

وعالَم الأسرار

والسّحب

التي تخطو أمامك

والملوك العائدون

من المعارك

يشربون الموت

رقصًا
كلها وجه غُباريّ
يحدّق في بعيد
مات قبل الانتهاء

ميلادك الإرث
الحضاريّ الكبير
وفي يديك الشمس
تفتحُ عالم الإنسان
عدلًا
وخطاك قادت
كل عاصفة هدوء
للسماء

عندما لا نكون لا نريد ترابا

أيها الليل فلتصلّ

على قبري الوحيد

فإني

متعبٌ كالرمل

في بقائي ركام

وحين أرقصُ للريح

أنتهي كالشّريد

عندما لا نكون

لا نريد ترابا

عندها قلت للتراب:

لماذا عدت نخلا

وأنت فيك ارتعاش

لا يراك الجميع

إلا غبارًا

في حذاء الذي مرَّ

فوق القبور

ألستَ تذكر نبض الشِعر في دمنا

متى سنبحرُ

هذا الجزْر أتعبنا

وأخرس الموج

والشّطآن..

والأمم

وكلّ فجر

ينادي البحرُ عاشقَه

ورغبة الموج

صارت فوقه قمما

ألستَ تذكر

نبضَ الشِعر

في دمنا

وصرخة الحرف

تبكي ليله حلما

ورحلة الشدو

في رستاقة نغم

بأنسها عبرتُ

عبري

به قِدَمًا

متى سنبحر؟

شطآن الهوى

غارتْ

وصُورٌ تفتقد السمّار

والكلم

مداك الشوق

وحدك عالم الذكرى
أسامرُ صُورَك الأولى
إذا أتعبت قافيتي..

مداك الشوق تشعله
مدى الأيام أحرقنا
(أناصر) إنها الأيام
جزءٌ من سحاب
مرّ في أحلامنا الأولى
دفنا جزءنا الزهريّ
يوم رحيلنا ألمًا
لقد أتعبت قافيتي
فكيف أصِل؟

الشّعْر ذاكرة الخرافة

جبلي أحبك

فانتشلني

كل هذا الليل

من طعمِ الحكايات

القديمةْ

الشّعرُ ذاكرةُ الخرافة

سوف يستجدي

الغريب

ولا يقول له:

لماذا؟

عابرًا كالرّيح يا جبلي

أشتّت رحلةَ الغرباء

في زمن الطفولة

انْقسام

يا من رأيت به

الطفولةَ رحمةً

أيقنتُ أني هارب

وبقيت في هَرَبي

كأن به بقائي الآخر

هذا الذي أحنو به

وأخافه

ضدّان في نفْسي

فأحلم أن أعود

فلا أجدها

وضدّي الآخر

حينما تظلمين تصبحين رملًا

(1)

أيكفي بأن تأخذي

كل شيء

وأبقى أنا طافيًا

في القصيدةْ

أيكفي بأن تُبحري

في عذابي

وأنساكِ

حتى تكوني وحيدةْ

لماذا إذًا

لا نقول وداعًا

وننسى بأنا نحبّ

الدموعَ

وكيف سنعشقُ

أم كيف نحيا

إذا كان شوق العيون

مكيدةً

مسافاتنا من

رحيلٍ قديم

فهل تصبرين

إذا ما مشيتُ

على الرمل

حين أعودُ سرابًا

وكم تصبرين؟

(2)

حينما تظلمين

تصبحين

رملًا

لست وحدك

جرحًا

إنما فوقك الهازئون

يسرقون الحياة

قسرًا وظلما

إني أعود حكايتين

سأظل أرقب

قد يطل العابرون

وقد أكونُ الماء

للعشب القديم

طفلًا يطاردُ ظله

ويحبّ أغنية الشتاء

إني أعودُ حكايتين

فهل سيسألني القمرُ

هذان حيث وُلدتُ

أعرف ما أنا

وحكاية أخرى

ترى عشبًا وماء

قد عدت حيث وُلدتُ

أقرأ ما أنا

دربين يفترقان

قبل بدايتي

الله في نفسي

وبعضي ما يشاء

صار وحيدًا في الشُّرفَات

من وجَع الفجر

ورائحة الريح الأخرى

في أنفّاس المُنحَدَرات

في «المخسوف بها»(*)

زمنان

زمن فينا

كان يغنّي

وآخر مَاتَ بلا كلمات

كان الماء

قصيدة حب

(*) اسم مجرى واد جَبَليّ.

كان هناك

يكتب «سدر» الوادي

حينًا

في غفوته

بعد سنين

صار وحيدًا

في الشّرفات

عمق الذات من خوفي

روحي تغنّي

كأوراقٍ من الصيف

ألمي

انبعاثُ التراب

وأحزاني

جَفافُ خُطىً

من المسير

وعمق الذات

من خوفي

هذا بقائي الذي

يشقى بمعرفة

إن نام في السحب

يَجْر

قبل موعده

أو سار في الريح

عاد كتائه مَنْفيّ

له وطن واحد بالجراح

إلى روح الشاعر محمود درويش

سَيَجُوعُ الحُمَامُ

وَلَنْ يَجِدَ الحَبَّ فِي كَفِّه

تَعَوَّدّ في الصُّبح

قبَل الأَزِيز

يُعَانِقُ أرْضَ النَّبِيينَ عِشْقَا

فَتَاةُ الحُقُولِ

ولُقْيَا الحَبيب

وأخْرَى (جِداريّة) فِي السَّمَاءِ

مَوَايلُ شَمْسٍ

تُصَافِحُ أفْئدةَ الشُّهَدَاءِ
ولَنْ تَجِدَ الرُّوحَ
في هَجْعَةِ الشَّاعَر
سَتَذبُلُ كلُّ الزُّهورِ
ولنْ تِجِدَ المَاءَ فِي قَلبِه

ومَنْ ذَا سَيبْكي فِلَسطين
غُصّنَا
لَهُ وَطَنٌ وَاحِدٌ بالجِرَاحِ
وكُلُّ الجِراح بِدَرْويِشَ
أرْضٌ سَليبَة
بُكَاءُ السِّنين البَعيدُ
يَعودُ ليصْحَبَ أعْلامَنا بالشَّتاتِ

وَوجْهُ السَّماءِ مَرايا

تُري الضَّائعِينَ انتهاءً جَديدًا

سَتَخْتَزِلُ الشَّمْسُ رُوحًا

تُجَدِّدُهَا في الكِيان القَصيدةُ

أتَصْرُخُ بعْدَ الحَقِيقةِ

«سَجِّلْ»

فَكُلُّ السَّمَواتِ تَقْبَلُ مِنْه

السَّلامَ الأَخير

تُعَانِقُ سَطْوَتَه الشَّاعريّةَ

حينَ يُفَجِّرُ أرْضَ القَدَاسَة حُبًّا

ويَحشُدُ جَيشَ التَّرَاتِيلِ

خَلْفَ التُّرابِ الشَّهيدِ

وَيَزْرَعُ زَعْتَرَهُ فِي عُيونِ الحُرُوفِ

المليئَةِ بالكِبْرِيَاءِ

سَتَفْتَقِدُ ـ الآنَ ـ سَيِّدَةُ الأَرْضِ عَاشِقَهَا
حِينَ سَتَأوي قَدَاسَتها فِي المَسَاء
سَتُدْرِكُ أَنَّ المُهَجَّرَ ـ طِفْلًا ـ
(حِصَانٌ وَحِيدٌ) يُوَاجِهُ كُلَّ العَواصِفِ وَحْدَه
وَحِينَ تُغَادِرُهُ فِي ثَرَاهَا
سَتُعْلِنُ ثَورَتَهَا مِنْ جَديد
فَجُثْمَانُه قَلبُهَا الأَبَديُّ
يُعِيدُ دِمَاءَ المَسَافَاتِ قَبْلَ النِهَايةِ

آمنت بالأحلام
حين تبعثري

الآن في يتم السواقي
أجمع الذكرى وحيدًا

تقسو الحياة

وحين لا تقسو

تفاجئني الحقيقةُ

أنني ضد العواصف

أركبُ الآلام

كي أنسى معاني

صبر هذا العُمر

أجتثُّ الدروب

أطفئ الحزنَ القديم..

ولا أبالي بانقسامي

أيها الظُّهْر
اكْتَف بالشمس
فوق بقية من ماء
لا تنس
بأنا في طفولتنا
قرأنا فيك
أحلامَ الظهيرة
ثم أوغلنا بباطنك
احْتِرَامًا للشَّجَاعة
لم نكن إلا سَعَادتك
التي سلبتك إياها
مآسي آخر القَطَرَات
من رَحمِ السّماء
أيها الماء القديم:
الآن في يتم السواقي

أجمعُ الذكرى وحيدًا

هل ستذكرني

وتغسلُ خطوتي

لأمارس السفر

ارتحالًا آخرًا

وأعود مُمْتَشقًا

غيوم الصيف

أحلم بالربيع وبالشتاء

سيرحل نحو ما تخشين

أنا ما انتظرت بك

الخَلاصَ

لأنني

أهواكِ بعد تلاوة

الصَّلوات

حَظّي من اللاشيء

ترَحَالٌ

تكاد معالمُ الطرقات

تذكره وحيدًا

دونما أحد يمارس

سيره فيها

أليس الوعد من

أودى بهَجْعَته؟

سماواتٌ تُراودُ

وجهَه ألمًا

وقد أفنى خطَاب

الصمت والكلمات

أليس بقاؤه صدقًا

بقربك

أفلتته يداك؟

لماذا تندبين الشمس

حين تغيبُ دون وداعٍ..

أكان عليك أن تقسي

عليها

وهي تَعَشَقه

وحين رأيته فيها

قرأت آية الظلمات

سيرحلُ نحو ما تخشين

بعد عذابه

جهرًا

ويمضي بانتهاء العمر..

يشربُ جرحه وطنًا

إلى حتّميّة الرَّغَبَات

يحبُّك عذّبة لكن..

هجرت طفولة الأيام

كي يمضي

وحين مضى

أقام بدونك الأحلام

لم ينظر

لغير الجرح

في ما كان يرسمه

من الآمال

غابَ وعاد يصحبه

انتهاء آخر للذّات

سيؤلمه انشقاقُ الرُّوح

بين بقائه ألمًا

وبين البحثِ عن مَعْنى

سَيِنْسَى

لحظة الذكرى

احْتَرام الدَّهْر

مُمْتَزجًا بسَطْوته

عَروسُ البَّحَر

أعوام

تسرقني بعيدًا عنك

حين الكل

يكرهُ ملحَك الأبَديّ

يتَجَزَّأون..

بلا امتداد البَحر

عَنك

كأنهم من

رجفة الصحراء

وأنا قريب منك

قرْب البحر من خدّيك

في غَسَق الرَّحيل

صُورُ النَّواخذَة

الذين يعلّمون الرمل

في عُرْس الشَّواطئ

والسُّفنْ

إني عَشقْتك

دَفْئيني

لا فرق يا زمني
فأنت نهايتي الأولى

زمني سألت عن

النهايات القديمة

عن بقايا الريح

في النَّخْلِ

وعن وجعِ المساءات

الجميلة

والدموع

وآخر الخوف الموزّع

في الرماد

لا فرق يا زمني

فأنت نهايتي الأولى

هناك بدأت أعرف

ما التراب وما الدموع

وما الوطن

ما الحبّ، ما سفرُ القصيدة

ما الغياب..؟

الماء والعشب البريء

حكايتان عن البعيد

كانت تعانقُ ما اختفى

من قبل أيام الحصاد

في ذلك الزمن

انتهت كل الجيوش

عن العبور

لم يبق غير الأوفياء

على قبور مَلَّها جَسدُ

التراب

يا أيها الجبل

انتشلني قبل ميلاد الغبار

وقبل أن تَقْسو الرياح

على بقايا عشبك

الشّتويّ

حيثُ أغْنيَة السحاب

براءة الماء البعيد

كلما جمَّعَت حولك أحرف الحب

جميلة كالماء يصنع

كل مملكةٍ

ويرفضُ أن تحاصره الرمال..

بعد ميعادِ العواصف

أستقي منك احترام الجرح

في نفسي

أسابقُ هدأة الوقت انتصارًا آخرًا

تجثو أمامي هامةُ الألم

الذي وزعته قبل اللقاء بك

كأني لست صاحبه، ولكن..

آخر يبدو ضبابيًا

يَدسُّ طفولة الأيام كي ينسى

أحاول أن تُظَلّلني موسيقى رحلتي

ألمًا أجد فيه السعادة

أو ربيع الحلم

في وهن السُّؤال

الآن في هذا الزحام

أغضّ طرفًا عن حروفِ الأبجدية

كي تعانقني القَصيدة

كلما جمَّعَت حولك أحرف الحب

انتهت جُمَلي وحيدًا

بعدها أصحو من الأحلام

كي تَنتَابني أنثى

دفنت بقربها زهرًا قديمًا

ضَاع في زَيف الكَمَال
كُلّمَا أثْخَنت في السّينَمَا غيَابا
وزّعتني هدأة أخرى
على أشْياء غَيري
قسْوة الشّعر اسْتَفَاقت
حينما عُدتّ بلا وعد اللقاء
كأنني
من آخر الأصنام
تعبدني المَسافَة
كلما واعدت نفسي
أجرمت في داخلي مُدن المُحَال

آمنت بالأحلام حين تبعثري

هل كان بعض الوهْمِ

أو بعض السراب

حكاية السَّفَر الطّويل

لا شيء غير البعد

يُنسي مَوضعًا للطّين

أو للريح

أو للحبّ

والآتي

لا شيء غير الجرح

في أعماقنا

نختاره صَعْبًا

على أمل اغتراب

سَنمرُّ فوق الجُرْح

فوق دُموعنا

ونمدّ أيدينا

لمن نهوى هنا

ونُصَارع الآهَات

كي نحيا لهم

جزء من الروح

القصيدة

تَنْتَشي بدموعهم

وبَقيَّةٌ تَأوي بهم

عند الغيَاب

لماذا أنت تمشين انتهاء؟

شيء بعيد

عاد سيدتي

يخبو غيابك عندما

أرنو إليك

فلا أراك تقبلين الريح

هل عُدتِ

لأرجعَ فاقدًا ألمي

هناك

تَشَابُه بين الرَّحيل

وفقْدك

الآنَ

استَفقتُ لكي أقولَ لك

لماذا

أنت تمشين انتهاء؟

بينما أجري بقرب قصيدة

تقسو على

وجَع المَسَافَة

لا تَراني

غيرَ ناصيَة الخُرَافَة

في احْتضَار الطِّين

مَوتًا

خائفًا من ضمّ أنْثى

في رَبيع العُمر

جذْعًا

عاريًا للشمس تَعْبُده القيامة

ليلةَ القدر اتّسَاعَا

أنت مَمَلكَةٌ

تُحبُّ النَّهر يَنْضب

كلما «انْطَفَأتْ صفاتُك»

هكذا

تمشي جوارك

آخر أغنية

بطَعْم البُعد

تَقْتَربُ السَّكينة

من الذاكرة

ظلٌّ
من الوجَع القَديم
وآخر هَدْأَةٌ
وخُطَى المَسير
تَشَبُّثٌ
يقسو على
ألم السَّحَابة
حين ترسمها الطفولةُ
بَوح التُّراب
تَناسل الرّيح
انتهاءً
مَوكبٌ
تُشْقيه أُغْنية العبادةْ

تَلطَّفْ بأحْلامنا في حضورك

لماذا قسوت على

العابرين

أيا موت رفقًا

مواجعنا ودموع التراب

حكايات كل

القبور القديمة

طفولاتنا للرحيل

احتراق

أيا موت رفقًا

ألا تكتفي باختطاف

الزنابق

تشرب أرواحها بالبكاء

كيف سننعمُ بالحبّ فيها
أتتركنا جيفةً أم خرافةً
سمعنا حُدَاءك
قبرًا ونعشًا
أتسخرُ منا وفينا
الطفولة؟
تعزف بالماء لحنًا
جديبًا
تبعثرُ أغنية الكبرياءِ
أيا موت رفقًا
فكلُّ المَسَاءات
شعْرٌ جَميل
فخذ طفلة
أو شبابًا جميلًا
وخُذْ جدولًا

بل ورودًا وحبا

زنابقَ ترّقص

عشقًا وأنسا

خذ هجعةً بالسكون

احّتوتْنا

شربنا بها ذكريات

وهمّسا

سَيبْقى ـ لتتعبَ ـ

رقْصٌ بَعيدٌ

سَتظمأ منه

بوهم الحياة

سَتغْرقُ في كل قبّر

عميق

تغادر تلقى

زهورًا وغيما

وماء يحبّ الصغار

وليلًا

يعود بأعراسنا

والحُبُورْ

هنا بقيت لأنني
أمْسكتُ بالنَّجّمات

سأقولُ لك انتظرْ

آخرَ الشُّعْراء

ينشد للوطنْ

وأنا سأرقصُ رقصة

الغَجَريّ

في قلبي هُتَاف الشمس

من أجْل الوطنْ

الآن انتهيتُ كآخر الصَّلوات

باسم الحبّ أبدأ

حيث يألفني الزمنْ

يا أيها الوجعُ القديم

هنا بقيت

لأنني أمْسكتُ بالنَّجْمات

حيث تقُصّ جدتنا

حكَايات

عن المَطَر الحَنون

وعَنْ رَحيل أبي

لأنّ الطّينَ

يَرْفضه صَديقًا للنَّخيل

إلى طرفة..
حيث حكمة الحرّية والحب

لا تَبكِ

فالأطْلالُ صَمتٌ

جَاثم

لا يترك الباقون

ما تهوى

فلا تقتتْ بالآلام

ولا تمشِ إلى ظل

يموت بآخر

الكلمات

فَخَولَةُ لمْ تَجِد حُلما

وصمت الماء في

الصحراء..

أنساها مرور

العاشق المطرود

قَبيلتُك انتهتْ عَلنًا

وصيتُ حُروبها ولَّى

إلى أوهامها الأولى

أرادتْ منك

أن تحيا عجوزًا

تَشْرب الأوهام

طفلًا في امتداد الرَّمل

تنسَى حُلمك الموعود

فَكُنْ ما شئتَ

يا ابنَ العَبَد

لا تنس احْترام المَوت

حين يعود مُنْتَشيًا

فقلبُك سَيّدٌ للمَوت

قلبُك مُذنبٌ بالمَوت

حينَ مَلأته رَهَقا

لوجهك ناحتْ الأطلال

فاخترْ واحدًا حُبًّا

وغَادرْ أنت بالأحلام

حيث ولدتَ مُبْتهجا

وحيث أقمت

في الحانات سُكْرك

مولعًا طَربًا

بل في صمته صلى

يسيرُ بآخر المَعنى

وضدٌّ آخر يشكو

ولا يعنيه أن يبقى

وبعد قصيدةٍ أخرى

جميع حروفه وجع

خُطَى شعر أناخ بها

رفَاق حَوله سَهروا

فما ذهبوا

ورتَّل شعره ألما

كتابات على عَجَلٍ

فما فهموا

وبعد قصيدةٍ أخرى

تبَعثرَ ما يَراه غَدا

فقام ومزَّق الذكرى

وأوغَل في بقاياها

جَميعُ رفَاقه رَحَلوا

وبعد قَصيدَة أخْرى

بَكَى شَوقًا

وأسقطَ كَأسَه رَقْصًا

فغنَّى ليلَه حينًا

وحينًا دمعُه غَنَّى

وبَينَهما خبَت أنْثَى

وسَارتْ دُون أنْ تَنسى

جميع رفاقه رجعوا

وبَعدَ قَصيدَة أخْرى

أعَادَ دُموعَه مَاءً

تَوضّأ قَبل أن يَبْكي

أحبّ اللهَ كي يَهْوى

فلمْ تَخْتَارُه الصَّلواتُ

بلَ في صَمْتِه صَلَّى

يَسيرُ بآخر المَعْنَى

لَه حُزنٌ من الأحْلام

عَانقَه فأضْحَكه

«عَلى قَلق»

يَمرُّ هنا

أيّها الألم..
سقطتي عشقٌ قَديم

لا تَضعْ في آخِر

الخُطوات جُرْحا

لا تُصَالحْ

لحظةً أخْرى

فإنّ بدايةَ الآمال

حُبٌ

سَاكنٌ في هَجْعَتي

وحدي

لأنّ الماءَ

علمَني اخْتيار

الانْحدارْ

سَقْطتي عشْقٌ قديم

يوم كانت خُطوتي

عبءَ المَسَافة

وجْهة أخرى

لتحويل انْتهائي

للرياح

يوم كان الماء

يَسْجد ليله صَمْتا

فتؤنسنا العبَادة

ساكنٌ في هَجْعَتي

وحْدي

لأنَّ الليل

أغْنيتي الوحيدَة

بَين أطْواد سُكوني



إنْ أنتَ صاحبتَ الغياب

خانك الأموات

لم تحفر يداك القبر

منسيا

ولم ترجع إليه..

عادت الأنفاس

ميراثا

ولكن..

أوقَفَتك الريح..

كيف رجعت؟!

لم تعرف دموعك

في ارتداد الحزن

كونت المسافة

بالهروب

الآن ..

للجهة الوحيدة

